المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:02 (2022)، ص138-154

معاهدة السلام (33هـ/654م): صفحة من العلاقات الإسلامية-الأرمينية

Peace Treaty (33AH/654AD): A Page from Islamic-Armenian Relations

مصطفى زروق*
مخبر المخطوطات
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
mustapha.zerrouk@univ-alger2.dz

زكية كربال
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
zakia.kerbal@univ-alger2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/09/20
تاريخ القبول:
2022/11/15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المسلمون
- ✓ الأرمن
- ✓ معاهدة السلام
- ✓ العلاقات

الملخص:

أسعى من خلال إنجاز هذا المقال إلى إبراز الجهود الجبارة التي بذلها القادة المسلمون مع بداية حركة الفتح الإسلامي (ق.1هـ/7م)، من أجل إقامة سلام دائم في إقليم أرمينية. في الواقع، يعود هذا الحرص الشديد من لدن المسلمين إلى ما يمثله هذا الجزء الآسيوي من أهمية إستراتيجية بالغة، باعتباره حلقة هامة في الصراع الإسلامي–الرومي، فبات من الضروري بمكان ضمان الأمن والسكينة من الجانب الأرمني، أمر من شأنه قطع الطريق والحيلولة دون ارتماء الأرمن في أحضان إمبراطورية الروم، ما من شأنه أن يشكل خطرا ماحقا على الكيان الإسلامي الفتي. وقع اختاري على معاهدة سنة (33هـ/654م) التي أبرمت بين والي الشام معاوية بن أبي سفيان وحاكم أرمينية تيودور الرشتوني، لما لها من أهمية قصوى في التأسيس لسياسة إسلامية بإقليم أرمينية.

Article info

Received:
20/09/2022
Accepted:
15/11/2022

Key words:
- ✓ Muslims
- ✓ Armenian
- ✓ Peace treaty
- ✓ Relations

Abstract:

I seek through the completion of this article to highlight the tremendous efforts made by Muslim leaders with the beginning of the Islamic conquest movement (1st century AH/ 7th century AD) in order to establish lasting peace in the territory of Armenia. In fact, this great concern from the Muslims is due to what this Asian part represents of great strategic importance, as it is an important link in the Islamic-Rumi conflict, and it has become necessary to ensure security and on the Armenian side. chose a treaty in the year (33 AH/ 653 AD), because of its paramount importance in establishing the policy of Islamic region of Armenia.

* المؤلف المرسل

معاهدة السلام (33هـ/654م): صفحة من العلاقات الإسلامية-الأرمينية

مقدمة

شهدت الدولة الإسلامية خلال القرن (1هـ/7م) حركة فتح غير مسبوقة، قام بها قادة تشبّعوا بالمبادئ الإسلامية الأولى، وارتأوا حمل بذور هذا الدين الحنيف لغرسها خارج حدود شبه الجزيرة العربية. وخلال فترة قصيرة بسط المسلمون سيادتهم على رقعة جغرافية هامة، في المشرق والمغرب على حد سواء. جدير القول إن الكيان الإسلامي قد واجه منذ بدايته قوة سياسية رائدة في الشرق كله، إنها إمبراطورية الروم التي اشرأبّت أعناق حكامها لكسر شوكة المسلمين، قبل فوات الأوان، لما يشكله هذا الدين الجديد من خطر حقيقي على وجودها بالكامل. في هذا السياق، يشكل إقليم أرمينية حلقة أساسية في الصراع الإسلامي–الرومي، لما له من أهمية بالغة في توجيه سياسة الطرفين. وفي هذا الإطار رمى القادة المسلمون بكل ثقلهم لاحتواء هذا الإقليم الإستراتيجي ذي الأهمية القصوى. فعقب حركة الفتح لهذه المنطقة، الأمر الذي استوجب تسخير مجهود عسكري جبار، رافقه نشاط دبلوماسي أفضى إلى توقيع سلسلة من المعاهدات بين المسلمين من جهة والأرمن من جهة أخرى، لعل أبرز هذه المواثيق معاهدة سنة (33هـ/654م).

أما إشكالية الموضوع فتتمثل فيما يلي: **ما هي الظروف التي وقعت فيها تلك المعاهدة؟ ما مضمونها ودوافعها؟ نتائجها على الطرفين الإسلامي والأرمني؟**

الهدف من إنجاز هذا المقال، إبراز أهمية المعاهدة في التأسيس لعلاقات إسلامية–أرمينية، وما انجر عن هذه الثنائية الهامة من انعكاسات خطيرة وشديدة على الصراع الإسلامي–الرومي.

1. نبذة عن الفتح الإسلامي لأرمينية

أدرك المسلمون منذ الوهلة الأولى أن بقاءهم في شبه الجزيرة العربية سيؤدي حتما إلى إجهاض هذا المشروع الإسلامي في المهد، فكان السعي على نطاق واسع لمدّ نفوذ الدولة الإسلامية خارج مجالها الجغرافي الأول. وفي هذا السياق حقق المسلمون انتصارات باهرة على الروم[1]، في موقعتين شهيرتين هما: أجنادين[2] سنة (13هـ/634م) واليرموك[3] عام (15هـ/636م)[4]، وقد مكّن هذان الانتصاران من انتقال السيادة على بلاد الشام وفلسطين للمسلمين، ما انجر عن ذلك الحدث من تبعات غاية في الأهمية بالنسبة لهذا الكيان الجديد (الغني، 1989، ص 47). ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ صفوف قوات إمبراطورية الروم، خلال هذه المواجهات، قد تدعّمت بكتائب من الجنود الأرمن، والتي أبدت فعالية منقطعة النظير في ساحة الوغى، الأمر الذي ساهم بشكل حاسم ولافت في هذا الصراع الثنائي الإسلامي–الرومي. وهذا الأمر ليس بغريب على الروم الذين سبق لإمبراطورهم هرقل (610–640م) أن اعتمد على محاربين من أرمينية لمواجهة الفرس. (Bréhier, 1992, p. 55)

ويذكر أن هرقل اتخذ من أرمينية أرضا لتجنيد الجند، حيث وضع على رأس هذا الإقليم عناصر من الطبقة النبيلة المحلية، منحهم صلاحيات عسكرية ومدنية،[5] واستغلهم في حروبه ضد الفرس وبعدهم المسلمين. (Bréhier, 1992, p. 57)، ففي معركة اليرموك انخرطت قوات أرمينية هائلة العدد في صفوف الجيش

الرومي. (ولتر، 2003، ص 240) ومن جهة أخرى استطاع الفرس تجنيد كتائب أرمينية شاركت معهم ضد المسلمين في موقعة القادسية (Sébèos, 1904, p. 99).

ولتنفيذ مشروع الفتح الكبير الذي تبناه المسلمون، بات من الضروري ضمان أمن المناطق التي تم فتحها، وفي نفس الوقت تفطّن قادة الفتح إلى الأهمية القصوى التي تكتسيها منطقة أرمينية، في تقوية الجبهة الإسلامية وبالخصوص في مواجهة الروم، فتم التفكير مليّا، بعد استطلاعات عديدة، بضرورة فرض السيادة الإسلامية على أرمينية من خلال توجيه حملة عسكرية مجهز لها، بشكل محكم، في مستوى أهمية إقليم أرمينية.

وفي إطار هذا المخطط التوسعي الذي يحمل في طيّاته بعدا استراتيجيا، قرّر الخليفة عمر بن الخطاب سنة 19هـ/640م تسيير حملة عسكرية واسعة النطاق لفتح أرمينية. وللأهمية القصوى التي يكتسيها هذا المشروع العسكري الكبير كان من الضروري بمكان التحضير له بشكل دقيق ومحكم لا يحتمل الخطأ. وفي هذا السياق، كان على الخليفة عمر أن يجمع من المعلومات عن هذا الإقليم ما يكفي قبل إقحام الجيش الإسلامي وثلة من القادة المسلمين البارزين. وللقيام بهذه المهمة الحساسة اختار الخليفة عمر عياض بن غنم[6]. هذا القائد المغوار الذي يُشهد له بالحسّ الجهادي العالي (البلاذري، 1987، ص 242). يبدو أن الحملة الاستطلاعية التي قادها عياض قد أتت بثمارها، وجعلت الخليفة يرمي بكل ثقله في المشروع الأرمني الكبير. واستكمالا للمجهودات العسكرية المبذولة سابقا، قام القائد الفذّ والجريء سراقة بن عمرو[7] في سنة 22هـ/643م بغزو مدينة باب الأبواب[8] الواقعة شمالي–شرق أرمينية، مجهودات كلّلت بالنصر الباهر (الطبري، 1970، ص 155).

الواقع أن اهتمامات المسلمين ظلّت مشدودة إلى أرمينية ولم تتوقف بمجرد استشهاد الخليفة عمر سنة 24هـ/644م، بل إنها استمرت، وأخذت هذه المرة وتيرة أسرع وأشد. فما إن تولّى الخليفة عثمان زمام أمر المسلمين حتى أمسك وبقوة بالملف الأرمني، وفي الحقيقة يندرج هذا الأمر في إطار استكمال مخطط سلفه الهادف إلى إلحاق أرمينية بدار الإسلام. إن أول ما قام به الخليفة الجديد ما إن تولى السلطة، أنه كلّف حبيب بن مسلمة الفهري[9]، الذي يعد قائدا عسكريا مغوارا وسياسيا محنكا، بمهمة تسيير جيشا عرمرما قوامه حسب البلاذري، ثمانية آلاف جندي لغزو أرمينية[10]، وخلال هذا الاجتياح العسكري الكاسح، تمكن جيش القائد حبيب من فتح مدينة قاليقلا[11]، من الأهمية بمكان القول إن هذا الانتصار الساحق والخطوة الإيجابية حقّا في طريق إخضاع كل أرمينية قد نشر السرور والغبطة في نفوس قادة الجيش، كما الجنود البسطاء الذين حقّقوا هذا المكسب الرائد في هذه المنطقة.

ومما لا شك فيه أيضا، أن صدى هذا الانتصار قد انتشر في الأوساط الإسلامية، مما نشر غبطة كبيرة في قلوب الجميع، وبالخصوص الخليفة الذي اعتبره مكسبا لا يضاهى. ومن المؤكّد أنّ عثمان بن عفان لم يتردّد لحظة عن إرسال برقيات التهاني إلى قائد الحملة المِقدام –حبيب بن مسلمة– وكافة جنده، عن هذا

الانتصار الباهر الذي سيسمح بنشر الإسلام في أصقاع خارج شبه الجزيرة العربية. هكذا، شجع هذا النجاح الميداني وكذا المعنويات المرتفعة التي بات يتمتع بها الجند في المضيّ قدما لفتح مناطق أخرى. من جهته فتح سلمان بن ربيعة الباهلي[12]، الذي يشهد له بخبرته الواسعة بفنون الحرب، كُورَة[13] أرّان[14]، ومدن أخرى في الشّقّ الشرقي لأرمينية.

هكذا، تبين من خلال هذه المجهودات الحربية المبذولة من طرف الخلفاء الراشدين الأوائل ما تكتسيه منطقة أرمينية من أهمية قصوى بالنسبة للمسلمين، ليس على مستوى حركة الفتح فحسب، بل وأيضا في إطار الصراع المرير مع إمبراطورية الروم حول بسط كل قوة منهما لنفوذها السياسي والديني على مناطق جديدة، فالصراع بين الطرفين كان على أشدّه في أرمينية، لذلك كان على الروم العمل بكل قوة للحفاظ على مصدرهم الأساسي للتجنيد العسكري (Bréhier, 1992, p. 61).

2. كتب الصلح الإسلامية–الأرمينية إبّان الفتح الإسلامي

جدير القول إن القادة المسلمين لم يكتفوا باللجوء إلى الحل العسكري فحسب في إطار مشروع ضم أرمينية لدار الإسلام، بل إنهم آثروا استخدام الحل السلمي كلما وجدوا سبيلا ذلك، لفك خيوط الملف الأرميني الشائك. في الواقع تعود جذور الصلح بين المسلمين والأرمن إلى سنة 19هـ/640م، ففي هذه السنة وعقب الانتصار الذي حققه القائد عياض بن غنم على الأرمن، ألزم بطريق[15] مدينة خلاط[16] على كتابة صلح، تضمن ضرورة أن يدفع الأرمن جزية سنوية لبيت مال المسلمين، في مقابل ذلك حصل البطريق من لدن القائد على الأمان لشخصه وقومه، وهو الصلح الذي بقي مفعوله ساريا في عهد الفاتحين الذين أتوا بعده. ومما لا ريب فيه أن ما أقدم عليه عياض يعدّ بمثابة عهد جديد في العلاقات الإسلامية–الأرمينية. وقد سار على نفس الدرب حبيب بن مسلمة حين زحف إلى مدينة دبيل[17] ونزل على بابها، ففي هذه الأثناء طلب منه أهلها الأمان والصلح، ولم يردّ هذا القائد الأرمن خائبين، وذلك بأن لبّى نداء الاستغاثة هذا، وكان ردّه كالآتي: "**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها، شاهدهم وغائبهم أنّي أمّنتكم على أنفسكم، وأموالكم، وكنائسكم، وبيعكم، وسور مدينتكم، فأنتم آمنون، وعلينا الوفاء لكم بالعهد، ما وفيتم وأدّيتم الجزية والخراج شهد الله، وكفى به شهيدا**"، وختم حبيب بن مسلمة.

ونقل البلاذري العديد من نصوص الصلح التي عقدها حبيب، مثل: أهل النشوى[18] الذين صالحهم على مثل صلح دبيل، وبطريق البُسْفُرَّجَان[19] وأهل القلاع بالسِيسَجَان[20] وجُرْزَان[21] وتَفْلِيس[22] وباب اللاّن[23] وغيرها من المناطق الأخرى (البلاذري، 1987، ص 280 وما بعدها). ويذكر أن سلمان بن ربيعة الباهلي لما غزا البيلقان[24] وبرذعة[25] ومسقط[26] صالحه أهلها (خليفة، 1985، ص 163)، كما أنه صالح ملك شَرْوان[27]، والشابِران[28] وأهل مدينة باب الأبواب وغيرها من المدن الأرمينية (البلاذري، 1987، ص 287.286).

ونصت هذه العهود في مجملها على حقن الدماء وحرية الديانة، مقابل دفع الجزية، باستثناء عهدين، الأول صلح تفليس الذي أضاف شروطا أخرى مثل ضرورة إيواء الأرمن للمسلم المحتاج أو الضّال للطريق،

والتعاون المشترك بين الطرفين لصدّ هجمات أعداء المسلمين (البلاذري، 1987، ص 284)، والثاني كتاب صلح سراقة بن عمرو وملك مدينة باب الأبواب شهربراز[29]، وفيه طلب هذا الأخير إعفاءه من دفع الجزية نظير نصرته للمسلمين على أعدائهم والامتثال لأوامرهم، فقبل سراقة وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسّنه (الطبري، 1970، ص 156.155)، وبناء على وثيقة الصلح الأخيرة يتبيّن لنا أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية على المغلوبين لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم، فهي بدل الخدمة العسكرية، وتسمى ضريبة الدفاع، أما الذين يدافعون عن أنفسهم ويقاتلون عدوهم مع المسلمين فلا جزية عليهم (خطاب، 1998، ص 143.142).

وهناك من يرى أن كتب الصلح تمثل معاهدات استسلام جاءت كنتيجة حتمية لقوة الجيوش الإسلامية، إلا أننا لا نستطيع تجاهل سعي المسلمين لنشر السلام والأمان في المناطق المفتوحة، من خلال عرضهم لشروط رحيمة في صلح بين الغالب والمغلوب، وأكبر دليل على ذلك هو إيفادهم للرسل طلبا للصلح قبل غزوهم لأي منطقة.

وعلى الرغم من هذه الحملات والمعاهدات، فإن السيادة الإسلامية على أرمينية لم تتحقق، لأن الجيش الرومي كان قادرا على الرجوع إلى أرمينية بعد كل حملة إسلامية (الغني، 1989، ص 55). وتشير بعض الدراسات إلى أنه تمكن سنة (27هـ/647م) من استعادة أرمينية بالكامل، (اسكندر، 1983، ص 43) إذ لم يرض الروم أن يثبت المسلمون أقدامهم في أرمينية، لما يشكل ذلك من خطورة على وجودهم، كما أن لهذه السيطرة دورها في تهديد عاصمتهم القسطنطينية.

وفي سنة (32هـ/653م) تمكن المسلمون من تحرير كامل أجزاء أرمينية، وشمل الفتح المناطق الممتدة من باب الأبواب شرقا حتى أقصى مدينة جرزان غربا، ومن باب اللاّن شمالا إلى شمشاط[30] وبدليس[31] جنوبا، ولم يتمكن ملك أرمينية تيودور الرشتوني من إيقاف الزحف الإسلامي، لذلك لجأ إمبراطور الروم إلى عزل هذا الأخير من منصبه وعيّن مكانه سمباط بقرادوني، لكن الملك تيودور رفض التخلي عن منصبه، وتعاون مع المسلمين لتحرير أرمينية من النفوذ الرومي (اسكندر، 1983، ص 56.55). ولم يكتف بهذا، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قرّر سنة 33هـ/654م أن يعقد معاهدة مع المسلمين –باعتباره ممثلا للأهالي الأرمن– (Grousset, 1973, p. 300)، بعد مشاورته للأمراء الأرمن وإقناعهم بضرورة عقد الصلح، فاتصلوا بوالي الشام معاوية بن أبي سفيان، يلتمسون منه تقديم ضمانات لإيقاف القتال وإقامة سلام دائم بين الطرفين، بعد تأكّدهم من عدم قدرتهم على الصمود أكثر أمام قوة المسلمين (إستارجيان، 1951، ص 163).

3. بنود معاهدة السلام الإسلامية–الأرمينية (33هـ/654م)

ولتجنب تمرد الأرمن أو بقائهم تحت سلطة الروم، منحهم المسلمون امتيازات تحقق السلام الدائم بين الطرفين (Laurent, 1919, p. 2). وانفرد المؤرخ الأرمني سبيوس Sébèos دون غيره من المؤرخين برواية زودنا فيها بالنص الكامل للاتفاقية المبرمة بين المسلمين والأرمن، حيث ذكر أن زعيم الإسماعيليين (يقصد

بذلك والي الشام معاوية بن أبي سفيان) تفاوض مع تيودور الرشتوني وقال له: "**ليكن اتفاق بيني وبينك، لمدّة زمنية تحدّدها أنت، لن أفرض عليك أي جزية لمدّة سبع سنوات، ولكن وفقا لهذا التعهد ستدفع بعدها الجزية التي تريد دفعها، وستحتفظ بجيش مكوّن من خمسة عشر ألف فارس في بلدك، تزوّده بالخبز، وسآخذه في الحسبان عند حساب الجزية، ولن أطلب من فرسانك المجيء إلى الشام، لكن عليهم الاستعداد للذهاب إلى أي مكان يؤمرون بالتوجّه إليه، ولن أرسل أي أمير إلى حصونكم، ولا أي قائد عربي ولا فارسا واحدا، ولن نسمح بدخول أي عدو إلى أرمينية، وإذا زحف الروم لقتالك فسأرسل جنودا لمساعدتكم، بالأعداد التي تطلبونها، أتعهد بذلك أمام الله**" (Sébèos, 1904, p. 133).

وبالجدير بالملاحظ أن معاوية تفاوض مع القائد الأرمني تيودور الرشتوني، باعتباره الممثل الشرعي الوحيد لسكان أرمينية، وترك له مهمة تحديد مدّة صلاحيتها، وأعفاه من دفع الجزية لمدّة سبع سنوات، وبعد مضي هذه الفترة يدفع الأرمن الجزية بالمقدار الذي يريدونه، ويحق لهم امتلاك جيش يضمّ خمسة عشر ألف فارس، ينفق عليه من بيت مال المسلمين، بهدف الدّفاع عن الأراضي الأرمينية، مقابل أن يكون مستعدا للقتال خارج حدوده إذا طلب منه ذلك، وتعهد معاوية بأنّه لن يرسل أي ممثل للخلافة الإسلامية إلى أرمينية، وهي إشارة يفهم منها أنه منح للمنطقة الحكم الذاتي، وأنّه لن يتدخل في الشؤون الداخلية الأرمينية، وفي الأخير طمأن معاوية الأرمن ووعدهم بالأمان والحماية من أي هجوم رومي محتمل في حال قبولهم لشروط هذه المعاهدة[32].

ووافق حاكم أرمينية على هذه البنود، وتم الصلح بين الأمير تيودور الرشتوني قائد الجيش الأرمني وحبيب بن مسلمة قائد الجيش الإسلامي والموكل للفتح من قبل معاوية بن أبي سفيان (السيد، 1972، ص 65). وبناء على ظروف المعاهدة اعترفت أرمينية بسلطة الخلافة وحافظت على استقلالها الذاتي، كما أنّ قرار معاوية بن أبي سفيان بعدم استدعاء الفرسان الأرمن إلى الشام يعني أنّ هذا الجيش لم يكن ملزما بالاشتراك في الحرب ضد الروم في المقاطعات الحدودية، في الوقت نفسه لن تتمركز قوات إسلامية أو رومية على الأراضي الأرمينية (غيفونديان، 2017، ص 48).

وعلّق سبيوس Sébèos على قبول الأرمن للاتفاق قائلا: "**خضعوا لسيطرة الملك الإسماعيلي، وقطعوا عهدا مع الموت، ورفض تيودور وجميع الأرمن عهد الله**"، وفي موضع آخر أشار إلى دور معاوية في فصل الأرمن عن الروم(Sébèos, 1904, p. 132.133). وتكررت هذه العبارات عند المؤرخ الأرمني جون كاثوليكوس Jean Catholicos حيث قال: "**فلمّا رأى تيودور والنخرار الآخرون كل هذا خافوا من وصول الغرباء، وخضعوا لسيطرتهم، وتحالفوا مع الموت، وأقسموا على الولاء للجحيم، وانفصلوا عن الإمبراطور**" (Catholicos, 1861, p. 74).

غير أن المؤرخ جروسيه Grousset كان له رأي آخر، إذ صرّح أنّ: "**الميثاق الذي حصل عليه الأرمن من الخلافة كان أكثر حرية من الشروط التي منحها الساسانيون لأرمينية سابقا، وأنّ الإسلام كان**

أقلّ بعدا عن المسيحيين من المجوسية" (Grousset, 1973, p. 301)، وأيّده في ذلك الباحث الأرميني جورج بورنوتيان، الذي اعترف بأن الاتفاقية مع معاوية كانت جيدة بالنسبة للأرمن، خاصة وأنها تضمنت حق حرية العقيدة، ومكّنت تيودور من الحصول على مكسب من الحاكم المسلم لم يكن قادرا على انتزاعه من الإمبراطور المسيحي (بورنوتيان، 2012، ص 89.88)، إضافة إلى ما سبق فإن المؤرخ "**بول آميل**" وصف هذه الاتفاقية بالمعاهدة الشريفة (آميل، د/ت، ص 23.22).

ومن حنكة معاوية أنه عمل جاهدا على استغلال فترة الفتور في العلاقات بين الروم والأرمن، وسعى لكسب هؤلاء الأخيرين إلى صفه، من خلال تقديم تنازلات غير مسبوقة، وبالخصوص إعفائهم من دفع الجزية، الممثلة لأحد الأسس التي بنيت عليها العلاقة بين دار الإسلام وغير المسلمين. إضافة إلى عدم تعيين حاكم مسلم بل محلّي، والأكثر من ذلك هو تعهد المسلمين بالدفاع عن أرمينية ضد أي عدوان رومي محتمل، وهذا ما جعل الأرمن يسرعون إلى قبول هذا الصلح لما فيه من تنازلات لهم، ولخوفهم من الروم وعدم الاطمئنان لهم (بخيت، 2010، ص 84.83)، خاصة بعد إدراك قائدهم المحنّك تيودور أنّ الوصول إلى صلح دائم مع المسلمين يضمن لأرمينية استقلالها الذاتي، ويحقق أهداف الفاتحين المتمثلة في تأمين حدود الدولة الإسلامية (السيد، 1972، ص 66).

هكذا، انفرد الأرمن بشروط ميزتهم عن غيرهم من أهالي المناطق المفتوحة، لأن المسلمين اعتبروهم بمثابة المفتاح للولوج إلى منطقة القوقاز الوعرة التضاريس، وأن كسبهم إلى جانبهم معناه سهولة بسط السيادة الإسلامية على هذه البقاع (اسكندر، 1988، ص57)، والتي يشكل فيها الأرمن كثافة سكانية عالية (Laurent, 1919, p. 9)، بالإضافة إلى قوة فرسانهم وتفوقهم الحربي والحضاري على جيرانهم الكَرَج[33] والأَبْخَاز[34] واللاَّن وأَرَّان والسيونيين[35] وغيرهم من سكان بلاد القوقاز (اسكندر، 1988، ص 57).

4. دوافع عقد المعاهدة

حظي إقليم أرمينية بشروط صلح خاصة من قبل المسلمين، ويرجع ذلك للمقاومة العنيفة التي واجهها المسلمون في القلاع القائمة على جبال القوقاز، وموقعها الجغرافي الإستراتيجي والفريد، وشدّة برودة مناخ هذه المناطق الجبلية الشاهقة الارتفاع، خاصة في فصل الشتاء، وهو مناخ لم يألفه المسلمون المعتادون على المناخ الصحراوي. وأمام هذه العوائق التي تحول دون الفتح الإسلامي لهذه الأصقاع البعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية، أدرك المسلمون بثاقب نظرهم أن الاحتفاظ بأرمينية تحت السيادة الإسلامية مرهون بمدى رضا سكانها عنهم، (اسكندر، 1988، ص 58.57) خاصة وأن المنطقة الشمالية الشرقية من أرمينية كانت مجاورة للخزر أعداء المسلمين الذين تمكنوا سنة 32هـ/652م من هزيمة الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمان بن ربيعة الباهلي، بعد محاولة هذا الأخير الوصول إلى مدينة بلنجر الخزرية (المغربي، 2002، ص 124.123). زيادة على ذلك فإن الروم رفضوا التخلي عن إقليم أرمينية وأولوه أهمية كبيرة، رغم التحديات والصعوبات التي واجهتهم على حدودهم الأخرى مثل: منطقة البلقان في الشمال (ولتر، 2003، ص 255).

ومن الدوافع المباشرة التي جعلت وجهاء الأرمن يسعون للارتماء في أحضان الكيان الإسلامي، من خلال عقد معاهدة تحقق السلام للأرمن وتضمن أمن أراضيهم، مستغلين في ذلك عجز الروم عن حمايتهم من هجمات المسلمين المتتالية، التي تمّت بإيعاز من والي الشام معاوية بن أبي سفيان بين سنوات (21-26هـ/642-647م)، وإن كانت هذه الغزوات قد فشلت في إخضاع إقليم أرمينية للحكم الإسلامي، فإنها سمحت للمسلمين بجمع غنائم كبيرة وثمينة، ليعودوا إلى دمشق محملين بالكنوز وعدد كبير من الأسرى الأرمن (Norwich, 1999, p. 146). وهكذا ترك الروم حلفاءهم الأرمن يواجهون الفاتحين وجها لوجه دون أن يقدموا لهم أي مساعدة جدّيّة (اسكندر، 1983، ص 55)، بل على النقيض من ذلك أثاروا ضدّهم جدالات دينية مذهبية (غيفونديان، 2017، ص47). حيث حاول الروم انتهاز فرصة الحملات الإسلامية على أرمينية لفرض قرارات مجمع خلقيدونية[36] على الكنيسة الأرمينية (بورنوتيان، 2012، ص 88)، ففي عام (29هـ/649م) عقد في دفين مجمع ديني يهدف إلى إعادة أرمينية إلى حضيرة الكنائس الرومية، لكن الأرمن بقيادة زعيمهم تيودور الرشتوني رفضوا اعتناق المذهب الديوفيزي[37] الرومي، وتمسّكوا بمذهبهم المونوفيزي[38] المحلي (بخيت، 2010، ص 83).

وفي سنة 29هـ/659م بعث والي الشام معاوية بن أبي سفيان جيشا جرارا استطاع التغلغل في معظم أنحاء أرمينية، فدافع تيودور عن إقليم البُسْفُرَّجَان Vaspurakan وانتظر التدخل من الروم، بيد أنهم طالبوه بقبول قرارات مجمع خلقيدونية، كشرط مسبق لتقديم أية مساعدة (بورنوتيان، 2012، ص 88). وعندما وجد الروم أن أرمينية أوشكت على السقوط في أيدي المسلمين، جهزوا جيشا هائل العدد، أوكلت قيادته إلى القائد بروكوبيوس، إلا أنه مني بهزيمة ساحقة على يد المسلمين، وبدلا من عزل قائده المهزوم (اسكندر، 1983، ص55). قام الإمبراطور قنسطانس الثاني Constance II[39] بعزل تيودور الرشتوني، وعين مكانه سمباط بقرادوني حاكما لأرمينية سنة 32هـ/653م (Ghévond, 1856, p. 11)، وكان لهذا الموقف أثره السيئ في نفس تيودور الذي أحسّ بأنه طعن في ولائه للروم[40]، مما أتاح الفرصة للفاتحين أن ينتصروا على الأرمن والروم عامي 31-32هـ/ 652-653م (حسين، 1978، ص 34.33)، وبذلك لم يعد أمام الحاكم المعزول سوى الانحياز إلى الجانب الإسلامي، رغبة في تحقيق الأمن والسلم لقومه، والتخلص من نفوذ الروم.

5. انعكاسات اتفاقية السلام

حرّرت هذه المعاهدة الأرمن نظريا من أي تسلط مباشر، إسلاميا كان أم روميا، مقابل خدمة عسكرية محدودة للمسلمين والتحالف معهم، على حساب الروم الذين فقدوا موقعا إستراتيجيا وحيويا (ولتر، 2003، ص 56)، واضحوا وجها لوجه أمام المسلمين العدو الرئيسي لهم (الجبوري، 2012، ص 256). والمعروف أنه في كل الأقاليم التي فتحها المسلمون تولوا فيها الحكم بشكل مباشر، وتركوا لأهلها حرية ممارسة معتقداتهم الدينية وفق ما نص عليه القرآن الكريم، ووفروا لهم الأمن والحماية مقابل خضوعهم للخلافة الإسلامية ودفعهم للجزية. أما من ناحية الأمور الإدارية والسياسية، فلم يكن لسكان الأقاليم المفتوحة من حق في ممارسة السلطة

السياسية إلا إذا حققوا شرطا أساسيا وحيويا، والمتمثل في اعتناق الدين الإسلامي، وأثبتوا الكفاءة والولاء للخلفاء المسلمين، باعتبارهم حكامهم السياسيين، وأئمتهم أيضا. كانت هذه هي القاعدة التي طبقها المسلمون في كل البلدان التي فتحوها، باستثناء إقليم أرمينية (الغني، 1989، ص 62.60). ففي هذا الإقليم منح المسلمون للأرمن الحكم الذاتي، وأعفوهم من دفع الجزية لفترة معينة، وفقا لما نصت عليه الاتفاقية قيد الدراسة.

ومما لا شك فيه أن الأرمن وافقوا على السيادة الإسلامية لأنه لم يكن أمامهم من خيار آخر غير الوثوق بعهود المسلمين، فقد عانوا كثيرا من الاضطهاد الديني في ظل السيادة الفارسية والرومية على بلادهم. حيث حرص الفرس على نشر عبادة النار في أوساط الأرمن وفشلوا، وبالمقابل حاول الروم فرض مذهبهم الديني عليهم دون جدوى. لذلك كان أملهم في المسلمين كبير للحصول على التسامح الديني الذي صار حقيقة في ظل السيادة الإسلامية (الغني، 1989، ص 65).

وعلى الرغم من الامتيازات المغرية التي منحها معاوية لسكان أرمينية في هذه المعاهدة، فإن الأرمن الغربيون[41] رفضوا هذا الاتفاق، وكان على رأس المنددين، الكاثوليكوس Catholicos[42] نرسيس الثالث Nersis III[43]. وفي واقع الأمر لم يكن هذا الجانب الأرمني الوحيد المستنكر للاتفاق الإسلامي–الأرمني، بل الروم أيضا (سعيد، 1995، ص 203)، حيث أثارت هذه المعاهدة حفيظة الإمبراطور الرومي قنسطانس الثاني، فأرسل إلى الأرمن كتابا يعرض عليهم فيه حماية أرمينية مقابل تخليهم عن هذه المعاهدة، وأبلغهم أنه سيأتي بنفسه إلى مدينة قاليقلا، ويدعمهم بالجند والمال، لكن ملك أرمينية تيودور الرشتوني تمسك باتفاقية السلام مع المسلمين ورفض سيادة الروم (Sébèos, 1904, p. 133)، ذلك أنه أوجس خيفة من عرض حاكمهم.

وبدخول عام 34هـ/655م قرر إمبراطور الروم القيام بحملة تأديبية لأرمينية، زحف من خلالها بجيش جرار نحو قاليقلا، وفي الطريق وصلته رسالة من والي الشام معاوية بن أبي سفيان تحذّره من مغبّة القيام بما من شأنه قلب النظام السائد في هذه المدينة، فرد الإمبراطور قنسطانس برسالة مفادها أنّ أرمينية ملك له، وهو متوجه إليها. وبعد وصول الإمبراطور وجيشه إلى قاليقلا استقبله بعض أشراف وجنود الأرمن الذين رفضوا السيادة الإسلامية، وأتى البطريرك نرسيس الثالث من بلاد الطاييك Taykh [44] لاستقبال الإمبراطور في قاليقلا، وانعقد اجتماع بقيادة الإمبراطور تم فيه إدانة وعزل الملك الأرمني تيودور الرشتوني لعقده علاقات وثيقة وقوية مع المسلمين، وبناء على ما سبق كلّف الإمبراطور أربعين جنديا بإلقاء القبض على تيودور وأتباعه، لكن هذا الأخير تمكن من اعتقال الجنود، وتحصّن في جزيرة ألثامار Althamar[45]، وأمر حلفاءه من السيونيين Siouniens وأرّان والكرج، بحشد جنودهم تأهبا للدفاع عن أرمينية (Sébèos, 1904, p.134.135).

وأمام هذه التطورات قرر الإمبراطور التوجه نحو دُبَيل العاصمة الأرمينية (المدور، 1981، ص 198)، وعيّن موشيل ماميكونيان Mouchel Mamikonian [46] قائدا للجيش الأرمني بهدف توحيد أرمينية

تحت سلطته، وأرسله إلى كورة البُسْفُرَجَان على رأس حوالي ثلاثين ألف جندي، وبعث قسما آخر من قواته لإخضاع إقليم سيوني Siounie وأرّان والكرج، لكن الملاحظ أن هذا الجيش لم يغادر المواقع قبل أن يلحق بها خرابا ودمارا شاملا، ليعود إلى مقر قيادته وهو يجرّ أذيال الخيبة (غيفونديان، 2017، ص 50).

على الرغم من الاستعداد الكبير من لدن السلطات الرومية، والذي أفضى إلى تجهيز جيش عرمرم، لكن النتيجة التي آلت إليها لم تكن في الحسبان، إذ لم تتمكن قوات الروم من إخضاع المناطق التي كلفت ببسط السيادة عليها. أمر يعبر دون شك عن المقاومة العنيفة التي رد بها الأرمن، ورفضهم الخضوع للغزاة الروم. في الواقع تعتبر هذه النكسة العسكرية لجيوش الروم صفعة حقيقية تم توجيهها لهذه الإمبراطورية التي تعد قوة دولية ضاربة.

واغتنم قنسطانس فرصة وجوده في أرمينية ليعيد إثارة مشاعر الأرمن الدينية، فأوفد قساوسة من الروم ليبشروا بالمذهب الخلقيدوني في كل كنائس دُبَيل، وأقام الصلاة في الكاتدرائية الرئيسية للقديس جريجوار وفقا للتقاليد المذهبية للروم، وشارك البطريرك الأرمني نرسيس الثالث وكافة الأساقفة الأرمن في هذه الصلاة جنبا إلى جنب مع الإمبراطور، بعضهم برغبتهم الخاصة وبعضهم الآخر إكراها. ولم يمض هذا الاحتفال دون معارضة، إذ قام أحد القساوسة الأرمن بتأنيب قنسطانس أثناء الصلاة، وعاتب البطريرك نرسيس وذكره بموقفه السابق المعارض لمذهب الروم الخلقيدوني، ودعا كافة الأرمن إلى الحفاظ على مذهبهم المونوفيزي، وعدم قبول فكرة الاندماج الديني مع الروم (Catholicos, 1861, p. 75.76). وهكذا فشلت غاية الإمبراطور في العمل على إزالة استقلال أرمينية الديني، الذي كان قد ترسّخ بعد رفض الكنيسة الأرمينية لقرارات المجمع الخلقيدوني المنعقد سنة 451م، تمهيدا لضمها إلى الروم. ومكث الإمبراطور الشتاء كلّه في دُبَيل، وفي الربيع عاد إلى القسطنطينية وترك بعض حامياته في أرمينية، فاستغل تيودور الرشتوني الفرصة وطرد هذه الحاميات بدعم من حليفه معاوية بن أبي سفيان، الذي وضع تحت تصرفه جيشا قوامه سبعة آلاف فارس.

استقبل الأرمن أنباء النصر بالفرحة والغبطة، أما في دمشق فقد ازداد معاوية إعجابا وتقديرا لبطولات القائد الأرمني تيودور، فوجه له ولحاشيته دعوة لزيارة دمشق، فاستجاب هذا الأخير لدعوة صديقه، الذي استقبله رفقة قادة الجيش الإسلامي، بالحفاوة والاحترام والتقدير. وكانت هذه الزيارة التاريخية الأولى وغير المسبوقة لحاكم أرمني رفيع المستوى إلى بلاد الإسلام. وفيها عهد معاوية إلى تيودور الرشتوني بإدارة شؤون أرمينية بصفة رسمية، والتي استمرت بين سنتي 33-37هـ/654-658م (السيد، 1972، ص 71.70). ومما لا شك فيه أن هذه الزيارة ساهمت وبقوة في تمتين الحلف الإسلامي-الأرمني والتأكيد على الصداقة بين الطرفين.

غير أن الانتصارات المتوالية التي أحرزها المسلمون في أرمينية خلال هذه الفترة لم يترتب عليها نتائج مباشرة، لاشتغال المسلمين بمسألة داخلية بالغة الخطورة، والتي هدّدت الكيان الإسلامي في وجوده، بعد النكسة الكبرى والهزّة العنيفة التي زعزعت وبشدة مركز خلافة المسلمين، وأدّت إلى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان

سنة 35هـ/656م، وبروز الخلاف بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب، والذي انتهى باستشهاد هذا الأخير سنة 40هـ/660م. هذه الأحداث السياسية المأساوية التي حلّت بالعالم الإسلامي قد كان لها أيضا أبعد الأثر على البعد الخارجي، حيث أجبرت والي الشام معاوية على التفاوض مع الروم، وعقد معهم صلحا سنة 38هـ/659م، التزم بمقتضاه بدفع إتاوة سنوية، فتأثرت الأوضاع السياسية في أرمينية بهذه الوقائع، واستأنف الأمراء الأرمن علاقاتهم مع الروم (العريني، 1985، ص 143).

ومع تولّي معاوية بن أبي سفيان الخلافة الأموية سنة 41هـ/661م حرص على إقامة علاقات حسنة مع سكان أرمينية، أساسها الالتزام ببنود اتفاقية السلام الإسلامية–الأرمينية (33هـ/654م). وبالمقابل عقد أمراء الأرمن ونبلاؤهم اجتماعا أكدوا فيه احترامهم وتمسكهم بشروط المعاهدة السالفة الذكر. وتلا ذلك زيارة تاريخية إلى دمشق قام بها حاكم أرمينية جريجوار ماميكونيان Grigoire Mamikonien[47] رفقة الأمير سمباط، فاستقبلهما الخليفة بالترحيب، وبناء على طلب وجهاء الأرمن عين جريجوار ملكا لأرمينية. وحسب ما أشارت إليه العديد من المصادر فإن أرمينية في عهد هذا الأخير نعمت بالأمن والسلام، وكانت علاقات الأرمن بالمسلمين طيبة، على مختلف الأصعدة سياسيا ودينيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا (الإمام، 2009، ص 17). ويذكر المؤرخ جان كاثوليكوس Jean Catholicos أن ملك أرمينية جريجوار ماميكونيان اهتم بتشييد الكنائس (Catholicos, 1861, p. 79). وهذا يثبت أن المسلمين احترموا بنود معاهدة السلام، كما يعد دليلا واضحا على التسامح الديني الذي نعم به الأرمن في ظل السيادة الإسلامية.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول إن معاهد السلام الإسلامية–الأرمينية كان لها أثرا بارزا على الأحداث التي جرت في إقليم أرمينية خلال السنوات اللاحقة. إذ اعتبرت بمثابة الباب الذي خرجت منه العلاقات الثنائية بين الطرفين من الحرب تمهيدا لتحقيق الصلح والسلم والأمن. وأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الورقة البحثية هي:

بذل المسلمون مجهودات عسكرية وسياسية جبارة في سبيل فرض السيادة الإسلامية على أرمينية، نظرا لما يكتسيه هذا الإقليم من أهمية في إطار الصراع الإسلامي–الرومي حول مناطق النفوذ، خاصة وأنها تتمتع بموقع يحجز بين القوتين المتصارعتين، تسعى كل منهما إلى وضع أرمينية تحت عباءتها.

فرض قادة الفتح الإسلامي في أرمينية شروطا رحيمة وبعيدة عن الظلم والإجحاف بهدف حقن الدماء وإقامة سلام دائم، كما نصت جميع العهود المبرمة بين الطرفين –وعلى رأسها معاهدة سنة (33هـ/654م)– صراحة على حرية الديانة، وهذا ما جعل سكان أرمينية يقبلونها فرارا من الاضطهاد والتعصب الديني الممارس عليهم من طرف الروم.

أدرك المسلمون بثاقب نظرهم أن إخضاع أرمينية للحكم الإسلامي مرهون بمدى رضا سكانها عنهم، فقدموا لهم امتيازات مغرية، دفعتهم إلى التخلي عن الروم، والارتماء في أحضان الخلافة الإسلامية.

مثلت هذه الاتفاقية مرجعا أساسيا للمسلمين والأرمن، ووضعت ضوابطا وشروطا التزم بتنفيذها الطرفان في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، فساد الهدوء والأمان جميع أرجاء أرمينية.

التعليقات:

1 **الروم:** ذكر الحموي أنهم جيل معروف في بلاد واسعة، يحدها شرقا وشمالا الترك والخزر والروس، وجنوبا بلاد الشام والإسكندرية، وغربا الأندلس (الحموي، 1977، ص 98.97).

2 **أجنادين:** وقعت هذه المعركة في 28 جمادى الأولى في عام 13هـ/634م، بمكان يدعى أجنادين في فلسطين، حقق فيها المسلمون بقيادة أمير الدهاء عمرو بن العاص انتصارا هاما على الروم (محاسيس، 2011، ص 29).

3 **اليرموك:** تعد من المعارك الحاسمة والمفصلية في تاريخ الإسلام والمسلمين، حدثت بين المسلمين والروم، وعرفت المعركة بهذا الاسم نسبة إلى نهر اليرموك الذي يصب في نهر الأردن. بدأت يوم الإثنين الخامس من رجب سنة 15هـ، شارك مع الروم اثنا عشر ألفا من الأرمن، ومُنِيَ فيها الروم بهزيمة ثقيلة، وخسائر كبيرة، وكان النصر تاما للمسلمين، الذين أصبح الطريق أمامهم مفتوحا للتقدم إلى دمشق وشمال بلاد الشام (العلي، 2004، ص 235 وما بعدها).

4 وفي نفس هذه السنة وجّه المسلمون ضربة قاسمة للفرس في معركة القادسية (الغني، 1989، ص 47).

5 كان هذا الإجراء تمهيدا لظهور نظام الثيماتا Thêmes الذي ركز على ضرورة استقرار الجند بأقاليم آسيا الصغرى، ومن خلاله قسمت أقاليم إمبراطورية الروم إلى أقاليم عسكرية كبيرة. ولعل من أشهرها: ثغر الأرمنياك Arméniaque المتواجد في شمالي شرق آسيا الصغرى، والمتاخم لحدود أرمينية الغربية (العريني، 1985، ص 121.120).

6 **عياض بن غنم:** ولد عياض بن غنم القرشي سنة 40 قبل البعثة (583م)، أسلم قبل صلح الحديبية، وشهد الحديبية مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وله جهود مشرفة في فتوح العراق والشام، ويعرف بفاتح بلاد الجزيرة وشطر أرمينية. كان حازما وحريصا على غرس روح الجهاد والانضباط في نفوس جنوده. استخلفه أبو عبيدة بن الجراح واليا على حمص، وبقي في منصبه إلى غاية وفاته سنة (20هـ/640م) (خطاب، 1998، ص 121 وما بعدها).

7 **سراقة بن عمرو:** كان سراقة بن عمرو بن لبنة صحابيا جليلا، لقب بذا النور، شهد له الخليفة عمر بن الخطاب بفضله في الجهاد وولاّه البصرة، ثم أمره بغزو مدينة باب الأبواب، وبعد فتحها صارت القاعدة المتقدمة للمسلمين باتجاه الشمال، لهذا اعتبر فتحها نصرا استراتيجيا. عرف بقراراته الجريئة وتحمّل المسؤولية الكاملة، توفي في مدينة الباب سنة (22هـ/642م) (خطاب، 1998، ص 141 وما بعدها).

8 **باب الأبواب:** مدينة في داغستان حاليا، يسمّيه العجم الدربند، وهو مدينة على ضفة بحر الخزر (بحر قزوين) مبنيّة بالصّخور على شكل مستطيل، عليها أبواب حديدية، ولها أبراج كثيرة، بناها كسرى أنوشروان، واهتم الأكاسرة بها لموقعها الخطير والمميّز، المجاور لأعدائهم الخزر (القزويني، د/ت، ص 506 وما بعدها).

9 **حبيب بن مسلمة الفهري:** هو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري، ويكنى أبا عبد الرحمن، ولد قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة (610م)، أسلم عام الفتح سنة (8هـ/629م)، شهد معركة اليرموك وفتح الشام وإقليم الجزيرة ومدينة باب الأبواب، ويعرف بفاتح شطر أرمينية وشطر بلاد الروم، حيث عمل على استعادة فتح مناطق شاسعة من أرمينية سنة (25هـ/645م). عيّنه الخليفة عثمان بن عفان واليا على أرمينية حتى سنة (35هـ/655م)، وشغلته الفتنة الكبرى بعد ذلك، وفي سنة (41هـ/661م) أعاده الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى منصبه في أرمينية، فمات بها سنة (42هـ/662م) (خطاب، 1998، ص 173).

10 الملاحظ أن المناطق التي زوّدت الحملة بالجند –بلاد الشام والجزيرة – تعد جغرافيا متاخمة لأرمينية، وهذا الأمر الذي ساهم في نجاحها.

11 **قاليقلا:** ذكرت في المصادر الأرمينية باسم كارين Karin، وجاءت في المصادر الإغريقية بلفظ ثيودوسيوبوليس Théodosiopolis. وحسب المصادر الإسلامية فإن مدينة قاليقلا تقع شمالي غرب أرمينية، ويرجع ابن الأثير سبب تسميتها قاليقلا إلى "**امرأة بطريق أرميناقس كان اسمها قالي بنت هذه المدينة فسمتها قالي قلة تعني إحسان قالي فعربتها العرب فقالت: قاليقلا**" (الأثير، 1987، ص 478).

12 **سلمان بن ربيعة الباهلي:** هو أبو عبد الله سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن نَضْلَةَ بن غنم ابن قتيبة بن مَعَن بن مالك بن أعْصُر بن سعد بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار الباهلي الكوفي. كان صحابيّا جليلا، تولّى قادة الجيوش والقضاء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ويذكر أنّه كان مسؤولا على توزيع الغنائم في فتح مدينتي المدائن وباب الأبواب، وله آثار جيدة في فتوح العراق والشام وأذربيجان وأرمينية. استشهد سنة اثنتين وثلاثين للهجرة (653م) (خطاب، 1998، ص 157 وما بعدها).

13 **كُورَة:** وهي كل صُقْع يشتمل على عدّة قرى، ولابد لتلك القرى من قَصَبَة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها مع اسم الكورة (الحموي، 1977، ص 37.36).

14 **أرّان:** إقليم يضم الجزء الشرقي من أرمينية التاريخية، عرف قديما بألبانيا، وأطلق عليه الأرمن اسم ألونك Aluank، ويسميه الجورجيون راني Rani. ضم هذا الإقليم بعد الفتح الإسلامي عدة مدن منها: عاصمته البيلقان، وجنزة وشمكور وبرذعة (اسكندر، 1983، ص 110).

15 **بطريق Patrice:** مشتقة من الكلمة اللاتينية Patrius، أصلها Pater، والمقصود بها زعيم العائلة النبيلة. ويعد الإمبراطور قسطنطين (306-337م) الباعث لهذه الرتبة، وكانت تطلق في البداية على قائد الجيوش الرومانية، ومع مرور الوقت أطلقت على عدد من زعماء ممالك الإفرنج والبورجاند. وفي عام 754م أطلق على ببين Bépin (زعيم الفرنجة الكارولنجيين) وكذلك أبنائه، تسمية بطارقة الرومان Patrice Roman، منحهم إياها البابا إتيان الثاني Étienne II. وفي القسطنطينية غالبا ما كان يمنح هذا اللقب للأمراء الأجانب الذين كانوا يلجؤون إلى هذه المدينة(Touati, 1995, p. 169) .

16 **خِلاَط:** مدينة عامرة مشهورة غرب أرمينية، تطلّ على بحيرة أرجيش، معروفة بخيراتها الواسعة وثمارها اليانعة، وهي قصبة أرمينية الوسطى (الحموي، 1977، ص 381).

17 **دبيل:** تقع شمالي شرق أرمينية (تدل عليها الآن قرية صغيرة جنوب العاصمة الأرمينية يريفان قرب نهر الرّسّ)، وتسمى أيضا دوين أو توين، وهي قصبة أرمينية الإسلامية في الأزمنة الأولى، يقول عنها ابن حوقل: "**مدينة كبيرة كثيرة الخيرات والبساتين والفواكه والزروع وعليها سور من طين، وفيها عيون ومياه جارية... بينها وبين (نهر) الرّسّ فرسخين**" (ابن حوقل، 1992، ص 290).

18 **النشوى:** مدينة ضمن كورة أرّان، معروفة بين العامّة بنخجُوان أو نقجوان (الحموي، 1977، ص 286).

19 **البُسْفُرَجَان:** تطلق عليه المصادر البيزنطية لفظ أسبوراكان Aspourakan، ويسمى أيضا الفاسبوراكان، يذكر الحموي أنه كورة تابعة لإقليم أرّن ومدينته نقجوان (اسكندر، 1983، ص 109).

20 **السِيسَجَان:** مدينة بعد أرّان، ويذكر أنها كانت طيّبة، يقصدها الناس من الأقاليم المجاورة. (ابن حوقل، 1992، ص 300)

21 **جُرْزَان:** اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس، تقع شمال غرب أرمينية، أهلها يسمون الكُرج (سكان جورجيا حاليا)، فعُرِّب فقيل جُرز، وهم أمّة عظيمة (الحموي، 1977، ص 125).

22 **تَفْلِيس:** حاليا تسمى تبلّيسي وهي عاصمة جورجيا، تقع شمالي غرب أرمينية، يقول عنها الجغرافي الإصطخري: "**مدينة دون باب الأبواب في الكبر، وعليها سوران من طين، ولها ثلاثة أبواب، وهي خصبة جدّا كثيرة الفواكه والزروع**" (الإصطخري، 2004، ص 110).

23 **باب اللاّن:** يسمى حاليا دَارْبِيْل، ويقع شمال أرمينية وسط جبال القوقاز، نشأت فيه مملكة اللان (الحموي، 1977، ص 8).

24 **البيلقان:** بالأرمينية فيداكران Phaidagaran، مدينة طيبة كثيرة المياه والبساتين والزروع الواسعة، تقع جنوب شرق أرمينية (لسترنج، 1985، ص 212).

25 **برذعة:** تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من أرمينية، وهي قصبة كبيرة، كثيرة الفواكه، أسواقها عامرة، ولها نهر يتخلّلها، وتبعد عن نهر الكرّ بفرسخين، وتوصف ببغداد هذا الإقليم (المقدسي، 2003، ص 315).

26 **مسقط:** مدينة جنوب باب الأبواب، تطل على بحر الخزر، بناها كسرى أنوشروان بن قباذ، وهي معروفة بكثرة الرساتيق (الحموي، 1977، ص 127).

27 **شَرْوان:** مدينة قرب باب الأبواب، قصبتها (عاصمتها) شَمَاخي، بناها كسرى أنوشروان فسميت باسمه، ثم خفّفت بإسقاط شطر اسمه (الحموي، 1977، ص 339).

28 **الشابران:** بليدة بناحية باب الأبواب (القزويني، د/ت، ص 600).

29 **شهربراز:** رجل من فارس، أصله من أهل شهربراز، نصبه الفرس ملكا على مدينة باب الأبواب وما جاورها (الطبري، 1970، ص 156).

30 **شِمْشَاطُ:** تقع غرب أرمينية، أو كما يصفها الحموي بطرف أرمينية، سميت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، لأنه أول من أحدثها (الحموي، 1977، ص 362).

31 **بدليس:** بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاَط، مشهورة بكثرة البساتين (الحموي، 1977، ص 358).

32 يشبّه الباحث فايز نجيب اسكندر هذه المعاهدة باتفاقية الدفاع المشترك المبرمة بين دولتين متحالفتين في وقتنا الحالي. (اسكندر، سيبوس Sébèos –المؤرخ الأرمني المعاصر للفتح الإسلامي لأرمينية– وصورة الآخر، 2009، ص 159).

33 **بلاد الكرج:** حاليا على وجه التقريب تمثلها دولة جورجيا.

34 **الأبخاز** : قوم سكنوا قديما شمال جبال القوقاز، بجوار بلاد الكرج.

35 **السيونيين:** من العائلات الأرمينية العريقة والشريفة، يتمركزون جنوب أرمينية.

36 **مجمع خلقيدونية:** يعتبر رابع مجمع مسكوني (اجتماع يضم مندوبي العالم المسيحي) والتي تعقد عادة لضرورة حتمية كظهور بدع يخشى عند انتشارها أن تحدث انقساما في الكنيسة، ونجد في تاريخ الكنيسة ثلاثة مجامع مسكونية وهي: مجمع نيقية (325م) ومجمع القسطنطينية (381م) ومجمع أفسس (431م). اعترفت كافة الكنائس المسيحية شرقا وغربا بهذه المجامع الثلاث، وتمسكت بمبادئ إيمانها، ونفذت قراراتها وقوانينها، أما المجمع الرابع فهو المجمع الخلقيدوني الذي انعقد بطلب من ملك الروم مركيان سنة 451م بمدينة خلقيدونية، المطلة على الشاطيء الشرقي للبسفور والمقابلة للقسطنطينية، وأقرّ بأنّ للمسيح طبيعتين (إنسانية وإلهية) ولذلك رفضته الكنيسة الأرمينية التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة إلهية فقط (صموئيل، 2009، ص 99،253).

37 **الديوفيزي Diophysites:** ويضم هذا المصطلح كلمتين من أصل يوناني وهما "**ديو**" وتعني اثنين، و"**فيزيس**" ومعناها طبيعة، ومنه نجد أنه يعني "**طبيعتين**"، ويطلق على المسيحيين المؤيدين لمعتقد المجمع الخلقيدوني القائل بأن المسيح إبنا وحيدا بطبيعتين، الأولى إلهية والثانية إنسانية، وهو إله كامل وإنسان كامل (ويلتر، 2007، ص 96).

38 المونوفيزي Monophysites: يتكون هذا المصطلح من كلمتين يونانيتين وهما "**مونوس**" أي وحيد و"**فيزيس**" وتعني طبيعة، ولذلك فالمقصود به "**ذو الطبيعة الوحيدة**"، وفي العقيدة المسيحية يعني بأن للمسيح المتجسّد طبيعة واحدة فقط وليست طبيعتين، لأن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية انصهرتا معا، وهذا يعني أنه لا توجد سوى الطبيعة الإلهية فقط، لأن الاثنين لا تتقابلان على نفس المستوى، وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة عقب مجلس خلقيدونية، لوصف كل من رفض قرار المجلس القائل بأن المسيح المتجسد هو أقنوم (شخص) واحد في طبيعتين (Livingstone, 1997, p. 1104.1105).

39 قنسطانس الثاني Constance Ⅱ: تولى حكم إمبراطورية الروم بين سنتي (642–668م)، عاصر فترة الفتنة الكبرى (34–40هـ) بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وهي الحقبة التي سعى فيها والي الشام معاوية بن أبي سفيان لعقد الصلح مع الروم، وبذلك اطمأن قنسطانز إلى الجانب الإسلامي وبدأ يوجه اهتمامه إلى المسائل الداخلية، كما كان اهتمامه منصبا على الولايات الحدودية، فأقام عليها قوادا لهم شهرتهم العسكرية، وفي عام 668م قتل قتل على يد خادمه، فخلفه الإمبراطور قسطنطين الرابع (عمران، 2002، ص 81).

40 وتجدل الإشارة إلى أن كل هذه الأحداث كانت كفيلة بأن ينتقم تيودور من إمبراطور الروم، وهذا ما حدث عندما أجبره هذا الأخير على الانخراط بجيشه في صفوف قائده بروكوبيوس في حربه الثانية ضدّ المسلمين، إذ أوصى تيودور إبنه فارد Vard باستغلال الوقت المناسب للانتقام، ونفّذ ابنه الوصية، وتسبب في هزيمة الجيش الرومي. (اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، 1983، ص 56)

41 قبل الفتح الإسلامي كانت أرمينية مقسمة إلى جزأين: القسم الشرقي خاضع للفرس، أما الغربي فيحكمه الروم المجاورين له، لذلك ناصر الأرمن الغربيون سيادة الروم في الفترة قيد الدراسة، غير أن الأرمن الشرقيون وعلى رأسهم الملك الأرمني تيودور الرشتوني، فضّلوا السيادة الإسلامية .(Sébèos, 1904, p. 135)

42 **الكاثوليكوس Catholicos**: يعرف كذلك باسم الجثليق، وهو أعلى رتبة دينية في الكنيسة الأرمينية، التي تضم ثمانية أخرى. يعتبر أكبر سلطة دينية وروحية لدى الأرمن. وللكاثوليكوسية الأرمينية اليوم مركزان واحد في إيتشميازين بجمهورية أرمينيا، وآخر في أنطلياس بلبنان، ويعرف باسم كاثوليكوسية البيت الكبير لقيليقية. ويسمى أيضا البطريرك Patriarche، وهي مشتقة من الكلمة الإغريقية باترياركيس Parriarchês، وتعني زعيم العائلة. وكان يطلق أولا: على الزعماء الأوائل للعائلة، الذين ذكرهم العهد القديم (التوراة) باعتبارهم يتمتعون بحياة طويلة الأمد وخصبة جدّا. أما الاستعمال الثاني: فقد استخدمت كلمة البطريرك كرتبة كنسية أعطيت للأساقفة الذين تولّوا المقرات الأسقفية الخمسة الأساسية، وهي: روما، الإسكندرية، أنطاكيا، بيت المقدس، القسطنطينية. والاستعمال الثالث: يخص زعيم الكنيسة الإغريقية، أما الرابع والأخير فإنه يتعلق بالمؤسسين الأوائل للأنظمة الدينية، مثل: القديس بازيل Saint Basile (عاش في القرن الرابع ميلادي)، القديس بينيدكت مينورسي Saint Be Nursie (480-547م) (Touati, 1995, p. 169).

43 نرسيس الثالث Nersis Ⅲ: اعتلى كرسي البطريركية الأرمينية بعد وفاة الكاثوليكوس ازر Ezr سنة 20هـ/641م، غير أنه اعتزل منصب الكاثوليكوس سنة 32هـ/652م، وعاد إليه مرة أخرى سنة 38هـ/658م، وبقي فيه إلى غاية وفاته سنة 41هـ/661م، لقب نرسيس الثالث بالبناء لكثرة الكنائس والأديرة التي بنيت في عهده، إضافة إلى اهتمامه بالنشاط الزراعي، وهذا دليل على أن الكنيسة الأرمينية لم تتأثر بالحملات الإسلامية، بل واصلت عملها الحضاري. ورغم أن نرسيس الثالث كان ضد الفتوحات الإسلامية وحليفا لبيزنطة، إلا أنه اضطر في الأخير إلى قبول السيادة الإسلامية بعد ضعف الروم مقابل تنامي قوة المسلمين في أرمينية (اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، 1983، ص 104.103).

44 **بلاد الطاييك Taykh**: تتواجد في الجزء الشمالي الغربي من أرمينية.

45 **جزيرة ألثامار Althamar**: تقع غرب أرمينية في بحيرة فان، كانت مقرا للكاثوليكوس الأرمني (Sébèos, 1904, p. 151).

46 **موشيل ماميكونيان Mouchel Mamikonian**: ينتمي إلى عائلة أرمينية عريقة، ويذكر المؤرخ الأرمني سبيوس أنه كان من الأمراء المساندين للإمبراطور، وحضر إلى قاليقلا رفقة جنود من منطقة أرارات (تقع وسط أرمينية، مشهورة بجبل أرارات المطل على العاصمة دُبَيل)، مما يدل على أنه كان بِطْرِيقًا للروم بهذه الناحية (Sébèos, 1904, p. 134).

47 **جريجوار ماميكونيان Grigoire Mamikonien**: هو صهر الملك الأرمني تيودور الرشتوني، أرسل كرهينة إلى بلاط الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وفي عام 41هـ/661م قرّر الخليفة القيام بحملة واسعة النطاق على الروم، ورغب في نفس الوقت بإخضاع أرمينية للسيادة الإسلامية، لذلك أطلق سراح جريجوار، وأكرمه وعينه حاكما عاما لأرمينية، وشغل هذا المنصب من سنة 41هـ/661م إلى غايته وفاته عام 685م (اسكندر، 1983، ص 114).

البيبليوغرافيا:

1-Bréhier, L. (1992). **Le monde Byzantin**: Vie et mort de Byzance. Paris: édition Albin Michel.

2- Catholicos, J. (1861). **Histoire d'Arménie**. (M. Saint-Martin, Trad.) Paris: imprimerie royale.

3- Ghévond, L. (1856). **Histoire des guerres et des conquets des Arabes en Arménie**. (G. V., Trad.) Paris: Chahnazarian.

4- Grousset, R. (1973). **Histroire de l'Arménie des origines a 1071**. Paris: Payot.
5- Laurent, J. (1919). **L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquete Arabe** jusqu'en 886. Paris:
Fontemoinget.
6- Livingstone, (. A. (1997). **The oxford dictionary of the christian church.** New York: oxford university press.
7- Norwich, J. J. (1999). **Histoire de Byzance 330-1453**. (D. Peters, Trad.) France: Perrin.
8- Sébèos, L. (1904). H**istoire d'Héraclius.** (F. Macler, Trad.) Paris: Ernest Leroux.
9- Touati, F. O. (1995). **Vocabulaire Historique du Moyen Ag**e. Paris: La boutique de Histoire.

1- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري. (2004). **المسالك والممالك**. (تح. محمد جابر الحيني) مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

2- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير. (1987). **الكامل في التاريخ**. (تح. أبي الفداء عبد الله القاضي) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

3- أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري. (1987). **فتوح البلدان**. (تح. عبد الله أنيس الطبّاع) بيروت، لبنان: مؤسسة المعارف.

4- أبو القاسم النصيبي ابن حوقل. (1992). **صورة الأرض**. بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.

5- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (1970). **تاريخ الرسل والملوك**. (تح. محمد أبو الفضل إبراهيم) مصر: دار المعارف.

6- أديب السيد. (1972). **أرمينية في التاريخ العربي**. حلب، سوريا: المطبعة الحديثة.

7- آرام تير غيفونديان. (2017). **أرمينيا والخلافة العربية**. (ألكسندر كشيشيان، المترجمون) حلب، سوريا: نادي الشبيبة السورية الثقافي.

8- السيد الباز العريني. (1985). **الدولة البيزنطية 323-1081**. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

9- بن خياط خليفة. (1985). **تاريخ خليفة بن خياط**. (تح. أكرم ضياء العمري) الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة.

10- بول آميل. (د/ت). **تاريخ أرمينيا**. (شكري علاوي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.

11- ج. ويلتر. (2007). **الهرطقة في المسيحية**. (سالم جمال، المترجمون) بيروت، لبنان: دار التنوير.

12- جورج بورنوتيان. (2012). **موجز تاريخ الشعب الأرمني**. (سحر توفيق، المترجمون) القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.

13- رجب محمود إبراهيم بخيت. (2010). **الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز (132-17هـ/639-750م)**. كفر الشيخ، مصر: العلم والإيمان.

14- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني. (د/ت). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت، لبنان: دار صادر.

15- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. (1977). م**عجم البلدان**. بيروت، لبنان: دار صادر.

16- صابر محمد دياب حسين. (1978). **أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري**. مصر: دار النهضة العربية.

17- صالح أحمد العلي. (2004). **الفتوحات الإسلامية**. بيروت، لبنان: شركة المطبوعات.

18- عائشة سعيد. (1995). **الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري**. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المفردات.

19- عبد الرحمن محمد العبد الغني. (1989). أ**رمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين**. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

20- عدي سالم الجبوري. (2012). **دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي**. عمان، الأردن: دار الحامد.

21- ف. سي. صموئيل. (2009). **مجمع خلقيدونية-إعادة فحص**. (عماد موريس اسكندر، المترجمون) مصر: دار باناريون.

22- فايز نجيب اسكندر. (1983). **الفتوحات الإسلامية لأرمينية**. الإسكندرية، مصر: دار نشر الثقافة.

23- ـــــــ. (1988). **بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين**. الإسكندرية، مصر: دار الفكر الجامعي.

24- ـــــــ. (2009). سيبوس Sébèos -ال**مؤرخ الأرمني المعاصر للفتح الإسلامي لأرمينية- وصورة الآخر**. الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية. القاهرة: مركز الدراسات الأرمنية.

25- ك.ل إستارجيان. (1951). **تاريخ الأمة الأرمينية**. الموصل، العراق: مطبعة الإتحاد الجديدة.

26- كي لسترنج. (1985). **بلدان الخلافة الشرقية**. (بشير فرنسيس، المترجمون) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

27- كي ولتر. (2003). **بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة**. (نقولا زيادة، المترجمون) سوريا: دار المهندسين.

28- محمد بن أحمد المقدسي. (2003). **رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. (حرّرها وقدم لها: شاكر لعيبي) أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي.

29- محمد رفعت الإمام. (2009). **العلاقات العربية الأرمينية الماضي والحاضر**. القاهرة، مصر: مركز الدراسات الأرمينية.

30- محمد عبد الشافعي المغربي. (2002). **مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى**. الإسكندرية، مصر: دار الوفاء.

31- محمود سعيد عمران. (2002). **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

32- محمود شيت خطاب. (1998). **قادة الفتح الإسلامي في أرمينية**. بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

33- مروان المدور. (1981). **الأرمن عبر التاريخ**. دمشق، سوريا: دار نوبل.

34- نجاة سليم محمود محاسيس. (2011). **معجم المعارك التاريخية**. عمان، الأردن: دار زهران.